العنف تحت مجهر جان بودريار وإدغار موران وأروندانتي روي:

للمرة الأولى في التاريخ ثمة إمكانية القضاء نهائيا على الإنسانية!

منتصر حمادة*

■ مع أن ضيف هذا العرض حرر خصيصا على هامش تفجيرات نيويورك وواشنطن، إلا أن تبعات الصدمة الأمريكية بالأمس والصدمة البريطانية اليوم، وصدمات عديدة في الطريق، برأي أغلب المتتبعين لجديد هذه الاعتداءات، تشجع على التوقف مليا عند قراءة كبار المفكرين لظاهرة العنف أو الإرهاب.

يتعلق الأمر بالفيلسوف الفرنسي جان بودريار والفيلسوف الآخر إدغار موران، والمؤلفان لهما باع طويل في الكتابة ومتقاربان عمرا، وهما أقرب إلى مدرسة فرانكفورت النقدية أكثر من أي اتجاه آخر، وامتداد لها ـ مع الألماني يورغن هابرماس بطبيعة الحال ـ حيث يصنفان في حيز كتاب ما بعد الحداثة، بآرائهما الجريئة، بالرغم من أن لكل منهما عالمه المميز وقراؤه، وليس حديثهما عن العنف في العالم ـ محور هذا الكتاب ـ سوى التعبير الأمثل عن الهموم المشتركة رغم الاختلاف في الكتابة. (جان بودريار وإدغار موران. «عنف العالم». ترجمة عزيز توما، وتقديم إبراهيم محمود. «دار الحوار» السورية. ط 1, 2005, 158 صفحة من القطع المتوسط).

يرى إبراهيم محمود أنه لا يمكن لأي كان أن يزعم أنه يعيش بمعزل عما يجري كونيا. فالعولمة بتصوراتها ومشهدياتها المتلفزة سواء بدت عولمة البربرية كما يقال أو الوحشية أو قانون الأقوى أو توحيد العالم بصيغ متفاوتة، لا تعفي أحدا من هم التفكير بتداعياتها، ويعني هذا أن مفرداتها المتعلقة بالحداثة وما بعد الحداثة والعلامات الفارقة للإنسان الاستهلاكي، ولأمم وشعوب تخشى على نسفها من التفكك وفقدان الهوية.. هي مفردات لا يمكن التغاضي عنه، لأنها معاشة ولو بدرجات متفاوتة.

من النقاط النقدية غير المبهمة التي يقف عندها كثيرا نفس الكاتب، تلك المتعلقة بموقفنا من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يرفض أن يصفها بأنها «راعية الإرهاب أو دولة الكاوبوي، وأصل البلاء العالمي والشر المحض»، فليست هذه أمريكا، ولو كان الأمر كذلك ـ يضيف محمود ـ «لما غدت في الواقع بمثابة (الأنا الأعلى) لغالبية الأوروبيين، لما بقيت كما هي، لما استطاعت الصمود. فدولة تستطيع المزج بين الواقع والخيال وتحيل الخيالي إلى واقعي، وتقرر مصير الواقع بوصفه جنحة خيال، وتغير المصائر والأفكار كثيرا، تتطلب المزيد من الرؤى ودقة المقاربات إذا رمنا الحقيقة من جوانب مختلفة وانطلاقا من الحدث الأمريكي نفسه».

فأمريكا لم تكن بول كيندي أو فوكوياما أو هنتنغتون، لأنها كانت أمريكا والت ويتمان ووليام فولكنر وأليكس هالي وطوني موريسون وبول أوستر ونعوم تشومسكي بالطبع.

تحدثنا عن نقاط نقدية غير مبهمة لأن قراءة إبراهيم محمود لأعمال بودريار وموران تجاوزت، من وجهة نظرنا، سقف التلاعب بالألفاظ والدلالات. فتارة يتحدث عن «كتابة بودريارية تبدو أدونيسية تماما» نسبة إلى أدونيس (ص 113)، وتارة أخرى يتحدث عن كون «الحدث هو حدث اكتشاف، اكتشاف المكتشف، المكتشف الذي يتطلب منه تقديم أوراق اعتماده للذي جعله موضوعا له دون تسميته إلا بوصفه الملحق باللا مسمى، بما هو مجازي، جغرافي غامض»! (ص 19) أما قمة المراوغات اللغوية، فنطلع عليها، نموذجا، في المقطع التالي: «علينا الحديث هنا عن الطابع الثقافي والفكري والحقيقة الديوانية والتدبيرية لما هو أمريكي، حيث البحر اللصيق بمانهاتن بمداه المفتوح والأزرق وكأنه يوغل في اللامتناهي ويخترق اللاتناهي ويعيب الميتافيزيقا ذاتها كمفهوم مفارق، من خلال تجاوز عالم ما وراء البحار، إذ أن أوروبا ذاتها وقبل غيرها، أمست، مع العالم الآخر، في «ما وراءها»، ولم تعد أمريكا محصورة في الركن الأقصوي (ما وراء البحار) إنما بات العالم نفسه حاضرا كمفهوم داخل حدود المدى المجدي لها، ومحصورا بها»!! (ص 111)

على صعيد آخر، وجب التنبيه إلى أن الكتاب يحفل بالعديد من الأخطاء النحوية واللغوية وأخطاء أفظع في الترجمة، فاسم المعطي قبال الكاتب المغربي المقيم في باريس أصبح ماتي كبال (ص 44)، ولا ضير، إن لم يكن هذا الاسم معروفا لدى قراء المشرق العربي، على أن الأدهى كان وصف الكاتبة والروائية الهندية أروندانتي روي بأنها كاتب هندي! (ص 58)، وأروندانتي روي، للتذكير، نالت جائزة بووكر عام 1997 عن كتابها «إله صغار القوم» وقادت التحرك ضد بناء السدود الكبرى في وادي النارماد ولخصت تجربتها هذه في كتابها «ثمن الحياة»، والصادر في عام 1997. ولو اطلع مترجم الكتاب، على محررة الافتتاحية الثالثة في العدد ما قبل الأخير من فصلية «بدائل» البيروتية، لعلم بأن الأمر يتعلق بأروندانتي روي، دون سواها، ولأهمية ما جاء في الافتتاحية، نقتبس منها هذه الصرخة الإنسانية ضد عنف الأقوياء، ما دمنا نتحدث عن «عنف العالم».

نقرأ إذا، لأروندانتي روي أن «الحاصل فعليا في عالم اليوم، هو أن العولمة الليبرالية، تقوم بتدمير فكرة الدولة القومية لإخضاعها لإرادة الشركات متعددة الجنسيات، وتخضع الهند اليوم لإرادة مثل هذه الشركات التي تقرر وحدها مصير بلدنا. اشتركت منذ مدة، مع خمسة آلاف شخص هجروا من قراهم نتيجة بناء سد النارماد لمصلحة حفنة من كبار مزارعي وتجار الأرز، في مظاهرة في شوارع نيودلهي، قمنا خلالها بافتراش الأرض أمام مقر رئيس البنك الدولي الذي يدعم هذا السد، من أجل مساءلته. خرج إلينا الرئيس من عليائه، كملك متوج، وقال «سأدرس أوضاعكم بشكل فردي» وبدأت الأسئلة تصفعه: «من تكون؟ كيف تتحكم بمصيرنا؟ ومن أعطاك الحق في تقرير مستقبل أرضنا وأنهارنا؟». يعتبر رئيس البنك الدولي اليوم، أقوى بكثير من وزراء الدولة في الهند، وتكمن المأساة في وجود تحالف بين البنك الدولي ونخبة العالم الثالث من أجل امتلاك الموارد والحفاظ على هذا النموذج من الاستهلاك». (أروندانتي روي. العالم الثالث وسخونة المناخ «بدائل» بيروت. العدد 3, ربيع 2005)

يجزم جان بودريار بأن رعب الضحايا الذين قضوا في هذين البرجين لا ينفصل عن رعب العيش والعمل في هذه التوابيت الحجرية المصنوعة من الإسمنت والفولاذ.

فأمام حدث فريد كهذا، لا بد والحالة هذه من رد فعل فريد مباشر وعبثي. رد فعل يستخدم بطريقة ما الطاقة الكامنة للحدث، فكل ما سيتبعه، بما فيه الحرب، ليس إلا شكلا من أشكال التمييع والضعف المتصاعد. من هنا جاءت صعوبة العدول عن التعليق بشكل مباشر.

ومن هنا نتفهم تأخر بودريار في نشر أولى قراءاته لتفجيرات نيويورك وواشنطن، ونتحدث عن مقاله الشهير «روح الإرهاب» الذي نشر في يومية «لوموند» الفرنسية، وصدرت ترجمات عديدة له في أسبوعية «أخبار الأدب» القاهرية و«القدس العربي» اللندنية وفصلية «الفكر العربي المعاصر» الباريسية ويومية «الوطن» السعودية.

من المفارقات الدالة التي يقف عندها مليا بودريار، كون حدث نيويورك تم تصويره مرات عديدة كسيناريو البرج الجهنمي من قبل هوليوود أو من قبل المخابرات المركزية الأمريكية، لكن لم يكن أبدا تصوره كحدث ممكن، لهذا بقي غير متوقع تماما.

فالسيناريوهات الافتراضية قادرة على أن تستنفد كل الاحتمالات إنما ليس بوسعها أن تستنفد الحدث ذاته.

فيما يتعلق بمفهوم الإرهاب، موضع الساعة في العالم بأسره، يرى بودريار أنه إذا كان الإرهاب يدعي أنه يحدث الخلل في النظام العالمي أو الدولة فإنه إرهاب عبثي، وبما أن النظام العالمي أو الدولة لم ينوجدا على درجة عالية ويحصر المعنى، ومصدر فوضى ولا استقرار، فمن غير الفائدة الرغبة في إثارة مزيد من الفوضى وعدم الاستقرار. وتكمن الخشية في تعزيز النظام ورقابة الدولة وسط هذه الفوضى الإضافية، مثلما نجد الآن عند اتخاذ إجراءات أمنية جديدة في العالم بأسره.

قراءة موران مغايرة بالمرة لقراءة بودريار، على الأقل فيما يتعلق بالتعاطي مع مفهوم الإرهاب، حيث أنه لا يتطرق له بالتفصيل والتفكيك، وحتى عندما يعرج عليه في عجالة، يدقق فقط في العنوان، من خلال مطالبته للمتلقي بتصحيح العبارة، من منطلق أن «الحرب لا يمكن أن تتم إلا ضد دولة، وليس ضد منظمة ليست قائمة على دولة كما هو الحال مع تنظيم «القاعدة».

ولمن قرأ أعمال هذا الفيلسوف الفذ، عليه أن يتوقع تصدير النقد المركب والرصين لمفاهيم التقدم والعلم والتقنية والتطور والتنمية.. وهكذا، نقرأ لموران أنه إذا كان التقدم العلمي التقني والطبي والاجتماعي مذهلا، فإنه لا يجب التقليل من قيمة السلطة المريعة المدمرة والتي تجد تحت تصرفها العلم والتقنية. إنها المرة الأولى في التاريخ الإنساني حيث ثمة إمكانية القضاء نهائيا على الإنسانية. كما أن الحياة على كوكبنا هي أيضا تهدده بالفساد: هذه الأخطار هي ثمرة تقدمنا، فالتطور، ذو النموذج الغربي، يجهل أن هذا النموذج يحتوي على مساوئ، حيث أن رفاهيته تعمم البؤس، وفردانيته تحتوي على الأنانية والعزلة، وتفتحه المديني يولد القلق والملل، وقوته المنفلتة تؤدي إلى الموت النووي. ثمة عيوب تأتي من التخصص المبالغ فيه حيث كل فكر ينغلق ضمن قالب ويغدو غير قادر على معرفة العام والأساسي. هذا التقسيم المعمم الذي نشهده يحمل على الاعتقاد بأن نظامنا التربوي يحتوي على عيوب أساسية لأنه يقف عائقا أمام المعارف بينما يكمن دوره في ربطها ببعضها البعض. (يمكن العودة إلى القراءات النقدية لموارن حول عيوب التخصص المبالغ فيه من خلال ثنايا كتابه القيم «الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب». ترجمة أحمد القصوار ومنير الحجوجي. سلسلة «المعرفة الفلسفية». دار «توبقال» للنشر. الدار البيضاء. 2004)

لهذه الأسباب، يطالبنا موران بأن نأخذ في الحسبان بأن الحضارة الغربية تحمل في داخلها سرطانات ومشاكل. وهكذا فإن الأنماط الشهيرة للتطور التي نقلتها أوروبا إلى البلدان الإفريقية أو إلى الشرق الأوسط قد فشلت. وإذا مات التقدم، فلا جدوى إذا من المستقبل.

وحتى يكون ختامه دينيا محضا، يرى موران أن الديانات الكونية كالمسيحية والإسلام والبوذية، تخاطب الجميع، أيا كان أصل المؤمنين. إنها الديانات التي أصرت على قيم العلاقة مع الغير، سواء كانت قيم محبة القريب، المؤثرة جدا في المسيحية، أو فكرة الرحمة المتينة جدا في الإسلام. هذه الديانات لها فضائل واسعة، وتكمن علتها، حسب موران، في تقوقعها، أو في انغلاقها وتعصبها، وفي رفضها للديانات الأخرى، وقد شاهدنا تبعات الحروب الصليبية حتى أنها يخشى من أن تندلع مجددا. ويدعو موران هذه الديانات ـ ولعله يقصد الناطقين باسم هذه الديانات والمعتقدات ـ أن تتحد انطلاقا من نقاطها المشتركة، كالعالمية والتضامن والمحبة التي تصدر من القلب، والرحمة التي ربما تعلب دورا هاما جدا في كوكبنا، حتى يكون ختامه مسكا.

غلاف الكتاب

* كاتب من المغرب

عبد السلام العجيلي: أيقونة «الرقة» وحارس «الفرات»

محمد عبيد الله*

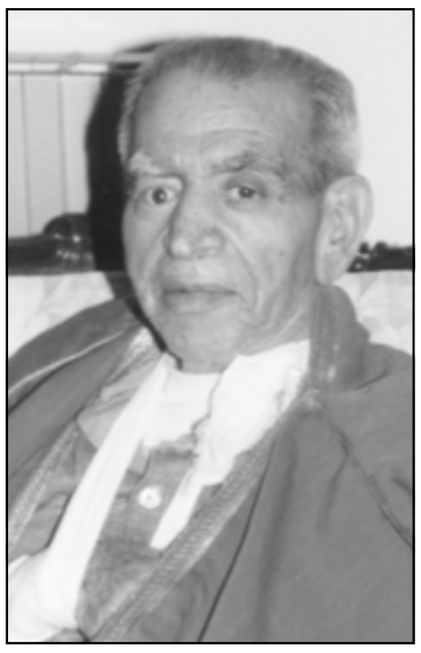
عبد السلام العجيلي (القدس العربي)

■ ماذا يفعل هذا البدويّ الحداثي كل هذه السنوات ؟ ولماذا احتمى من عصره المتفجّر ببلدته (الرقة) التي تتوسّد الفرات.. وتتشكل من (رقائق) رمله وطميه ؟ ترى هل جُبلت روح (العجيلي) من ذلك الرمل، فأخذت أسراره، ولم تبحْ بها إلا في لحظات الكتابة ومخاضات السؤال ؟ هل استهوته البادية إلى هذا الحدّ فقرر أن يكون الصوت الطالع منها في زمن المدينة والحداثة ؟!

كل المبدعين العرب أو معظمهم ممن خرجوا من الهوامش والأرياف، ذهبوا رأسا إلى العواصم، ومن هناك كتبوا (رومانسياتهم) واستذكروا منازلهم الأولى، باستثناء بدوي واحد يدعى عبد السلام العجيلي، والعجيب أنه عرف إغواءات العاصمة في الخمسينات، عرفها وهو في قمة السلطة: وزيرا للخارجية وللثقافة والإعلام، وعرفها قبل ذلك إبّان دراسته للطب في جامعة دمشق، لكنه عاد منها إلى قريته وافتتح (عيادة في الريف) حسب عنوان أحد مؤلفاته، وقد شهدت مرحلة الدراسة انقطاعه المؤقت، وتطوّعه في جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، حيث عرف صفد والجليل وتعرف إلى شخصيات من بدو الشمال، وكتب عنها وعن تلك المرحلة كتابات خالدة في قصصه ومذكراته مما يشكّل جزءا من حضور فلسطين الدائم في وعيه ووجدانه وممارسته وإبداعه.

عاش حيوات في حياة، في طفولته كانت أسرته ما تزال على عادات البداوة، «في الصيف والشتاء تقطن المدينة ـ القرية، وفي الربيع تغادرها إلى مناطق الكلأ كما يقول محمد جدّوع في كتابه الهام عن (التاريخ والعجيلي). وفي الكتاب نفسه ينقل عن العجيلي قوله «لقد عاصرت هذا اللون من الحياة وعشقته في طفولتي وأول صباي فظلت ذكرياته وصوره منقوشة إلى اليوم على الرغم من زواله ».. البادية تحولت إلى ريف مع التوجه إلى الزراعة، والعجيلي عاش النمطين، وعاش نمط المدينة في دمشق، طالبا في كلية الطب، فنائبا في البرلمان فوزيرا في ثلاثة مواقع هامة، ولكنه ينسج من هذه الحيوات والأنماط تكوينا متماسكا متوازنا، ويظل البدوي القديم جوهر شخصيته النبيلة المتواضعة.

ألّف في حياته الحافلة خمسة وأربعين كتابا تنتمي لأنواع وأجناس كثيرة، روايات وأدب رحلات وأحاديث ومحاضرات ومذكّرات، وما من قطعة من تلك الكتب إلا وترتبط بوجدانه وحياته، فمنذ أن قابل (نجيب الريّس) في طفولته في مجلس العائلة، وهو يعي أن الكتابة نضال مستميت من أجل الحياة، وأنها دفاع عن وجود الإنسان، وليست لغة مترفة فارغة.. وقد تأكد عنده هذا بالتجربة والمعايشة وهو الذي انخرط في صميم أحداث عصره، واكتوى بناره ولكنه، مثل طائر الفينيق، يتجدد بعد كل احتراق.

وما من مثقف عربي عانى ما عاناه العجيلي، فبالرغم من عصاميته وعطائه، مورس ضده كثير من الاضطهاد والنفي، نفي من الحياة السياسية والعامة زمن صعود الخطابات الأيديولوجية والثورية، واتّهم بالإقطاعية والرجعية من الاشتراكيين الجدد، ونفي من الحياة الثقافية التي تتحكم فيها الأيديولوجيا، فاتهمه «النقد الإيديولوجي» بالتهم الفارغة نفسها.. أما النقد العربي خارج سورية فلم تعجبه طريقة العجيلي المغايرة للكتابة السردية المؤتمة بالشكل المستعار من الغرب، وحار في هذا الكاتب الذي يجدد أشكال الحكاية والأحاديث والعشيّات.. ويكتب على غير مثال سابق.. كيف يدرس مثل هذا المبدع وكيف يمكن تنميطه وهو الذي يستمد تقنياته وأحوال كتابته من الثقافة العربية ومن التجربة الفريدة التي عاشها.. التجربة التي لا تتشابه مع المألوف من تجارب الكتاب والبشر.

ما لهذا الطبيب المتعلم الذي انضم إلى أطباء الأدب مثل: تشيخوف ويوسف إدريس، يكتب كما لو كان لا يؤمن بالعلم، بل يؤمن بالسحر والخرافة ؟ وما لهذا الطبيب يستعير لغة فخمة عالية من الشعر القديم ومن النثر الرفيع، ولا يكتب بالعامية القريبة من الحياة ؟؟ لماذا يعاند عصره وينأى عنه؟؟

ولكن العجيلي ينظر بسخرية إلى هذه الأسئلة، ويقول للمنتقدين «ليس كمثلي إنسان يؤمن بالعلم، لكنني أعرف أكثر من غيري، أن العلم ليس شيئا محدودا قد بلغنا في العصر حدوده، ولم تبق مجاهيل في العالم حولنا، الواقع أن الإنسان قد قطع شوطا كبيرا في معرفة نفسه ومعرفة سلوكه، لكن ما عرفه لا يزال قليلا جدا، وضئيلا أمام المغيبات عن معرفته».

كتب العجيلي تجارب عاشها في الطب والسياسة والحياة، كتب قصص الرحلات والقصص العلمية، وكتب عن البادية، وكتب عن فلسطين من منظور المعايشة والتجربة، وأتيح له حياة متفردة لم يعشها أحد سواه، ومن جماع هذه التجربة التي تداخلت مع ثقافة أدبية عربية وثقافة علمية، كتب مؤلفاته العديدة، وربما لهذا السبب وبالرغم من الإقرار بريادته، ظلت طريقته أسلوبا فرديا فريدا لم يقلّده أحد، ولم يتحوّل إلى مدرسة أو تيار في الكتابة السورية أو العربية.

ينتصر العجيلي للروح ضد المادة والجسد، ويقرأ ذلك في وعي الأمة وروحها «أنا من أمة آمنت دوما بأن الروح فيها أولى من الجسد، وبأن معاني مجردة مثل الجود والشجاعة أو الذكر الحسن هي أسمى من المال أو طول البقاء أو من الحياة نفسها ».

بداية الشهر الحالي، انعقد أول تكريم واضح للعجيلي، بتسمية ملتقى باسمه، بمبادرة من بعض أهل بلدته وبالتعاون مع وزارة الثقافة السورية، في الوقت الذي قارب التسعين ولم يعد قادرا على أن يشهد تكريمه أو ينفعل به.. واكتفى بإرسال خطاب قصير معبّر إلى المحتفين به.. لكن الحاضرين من الأدباء العرب ومن أدباء القطر السوري أقرّوا بموقعه في وجدانهم وبدوره في الثقافة العربية، صلاح فضل عبّر عن الجميع في كلمته وذهب إلى أن العجيلي (جعل من «الرقة» إحدى عواصم الرواية العربية، وأن إبداعه إبداع إنساني عرف كيف يكسر جدار العزلة أكثر من بعض من يقيمون في العواصم الكبرى).

وحين زرنا العجيلي، وجدنا منزلا بسيطا لا يفترق كثيرا عن منازل الرقة، الشيخ صاحب العينين الجريئتين ملتفا بعباءته، ما زال يتطلع بهما إلى البعيد البعيد، ربما إلى كل مكان بلغته رحلاته وكتاباته..يدان صغيرتان كيدي طفل، ولكنهما مع خطوط الزمن فيهما، مع عروقهما المستنفرة تشهدان بالطاقة الداخلية التي يخبئها الرجل، تلك الطاقة التي سمحت له أن يعيش كل تلك التجارب ولا يتحول إلى الجنون.

* شاعر وناقد من الاردن
mmobaidd@yahoo.com

قـــص

الحب الآخر..

سهيل كيوان *

■ أشهر ورقة ملونة أمام عينيها قائلا: انظري «مؤتمر مصففي الشّعر العالمي لأجل السلام» وعندما لم تعره انتباها قال بحنك رخو «لا تستهتري بنشاط كهذا». ابتسامته المترنحة وتأكيداته المتكررة حول برنامج المؤتمر أيقظت لديها مشاعر الشك التي لم تعرفها بهذه الحدة من قبل،على هامش هذا المؤتمرالغريب ما يخفيه عنها!

***

أيقظته هواجسه قبل الموعد الذي ضربه مع ساعة هاتفه،ارتخاء جفنيه أمام حدقتي عينيها الثاقبتين، فطوره الخفيف الذي دس نصفه بصعوبة في بلعومه مثل عاشق، ثم قبلته المرتبكة وكأنّه يعتذر سلفا عما هو مقدم عليه..وأخيراً صوته الأقرب لصوت أنثى وهو يقول لها بغنج.. باااااي!كلها إشارات أكدت لها أن «مؤتمر مصففي الشعر العالمي لأجل السلام» لن يجلب سلاما بل قد يشعل ناراً بينهما!

***

إنها لا تستقبل أحدا إلا بموعد مسبق حسب قرار رابطة المنجمين كي يتسنى لهم تبادل المعلومات عن زبائنهم، اليوم ستزورها زبونة ثقيلة تطلب الكشف عن مستقبلها، وبناء على نصيحتها ستقرر الزبونة الى أي القوائم تنضم قبيل الانتخابات لتضمن بقاءها في البرلمان.

أذهلت زبونتها البرلمانية بسؤالها عن والدتها الراقدة في المستشفى،حدثتها عن الغيرة والخصوم والمؤامرة الكبيرة التي تحاك ضدها، وأخيراً نصحتها بالانضمام لحزب الجنرال، دفعت هذه لها بكرم كبير وخرجت أكثر قناعة بضرورة القفز مع الموجة العالية.

***

كانت قد صدّقت أن الزمن بصيغه الثلاث مكشوف لها، ورغم ذلك شعرت بخيبة فظيعة وقالت لنفسها «أنا التي أكشف أسرار الناس،أنا التي يقصدني رجال ونساء حتى من أصحاب القرارفي مصيرالبلاد والعباد! لا أعرف ما الذي يفعله الرجل الذي يعيش في حضني منذ عامين!

***

شغّلت جهاز التلفزيون ولاحقت الشريط الأخباري «14 اصابة انفلونزا طيور في تركيا»، «اسقاط مروحية شماليّ بغداد»، «اغتيال اثنين من قادة الجهاد في جنين»، «حالة الجنرال حرجة ولن يعود الى وعيه». صفعت راحتها بجبينها، ما أغبائي قالت لنفسها، لقد ضيّعتْ ضربة حظ كبيرة، لو تنبأت بانفجار مخ الجنرال! لوقف الزبائن الدّسمون على بابي بالمئات! كان واضحا أنّ هذا سيحدث له بعد الانفجار الأول! أي طبيب مختص يعرف أن الاحتمال كبير بانفجار ثان أقوى من الأول! كان عليّ أن أغامر، شعرت بضياع فرصة قد لا تعوّض،البطالة التي كانت تعلّم التطريز فيما سلف،صارت تعلّم التنجيم لأن المطرّزات تصل من الصين وتركيا رخيصة جدا، التنجيم مهنة مطلوبة مثل الطبخ بل أكثر في معظم القنوات التلفزيونية، حتى في الصحف الثورية والملتزمة، والمنافسة على أشدها!

***

يجب أن تشعره بحدسها وحسها وقلقها ليس لأنها عرّافة، بل لأن بوصلة أحاسيسها كأنثى نبهتها منذ أشهر! ببساطة لأنه يعود بعد لقاءاته «الهامة» فارغا مثل قربة حسب تعبير سمعته أو قرأته في مكان ما! وينسى أنوثتها وحاجتها لأسابيع، وإذا اقترب منها فهو يؤدي وظيفة بشكل رديء.

بعد تردد قررت رش قليل من الفلفل على حياتهما!

رد بصوته الأثنوي: هالو!

ـ أين أنت؟

ـ أهلا بحبيبتي العرّافة!

ردت ممتعضة من سخريته ـ كيف كان المؤتمر؟

ـ المؤتمركبير فيه سفراء ووزراء! وأنت! كيف كان نهارك!هل جاءت زبونتك؟

ـ نعم وأذهلتها! كشفت لها حياتها الشخصية مثل فيلم فيديو، قررت الانتقال الى حزب الجنرال!

ـ سوف أسرّب الخبر الى صديقي الإعلامي، على كل حال ليس من عادتك الاتصال! يسرني أنك بدأت تغارين علي!واو! جميل أن يشعر المرء بغيرة حبيبه عليه!

ـ طبعا أغار عليك يا عزيزي! وأريدك أن تغار عليّ!

ـ لقد أسعدتني هذا النهار.. واو أيّ إثارة!

ـ انتبه منهن!

ـ معك الحق النساء هنا جميلات ومغريات!ولكن ضعي يديك وقدميك في مياه باردة.

قالت ساخرة ـ المهم أن ينجح مصففو الشعر بصنع السلام!

ـ لا تسخري يا عزيزتي، هؤلاء يصففون شعور الناس وأفكارهم! هل نسيت أنك صففت اليوم أفكار عضوة برلمان خطيرة!

ـ ومتى سيختتم المؤتمر؟

ـ ما زال أمامنا ثلاث ساعات على الأقل! باااي

يجب أن تعد له مفاجأة، طعاما وشرابا يحبه، وستشعل شموعا تضفي رومانسية على غرفة النوم! دخلت الحمام لتعدّه، يجب ان تكون مرتخية ومرتاحة، لا يمكن لهذا الفتور بينهما أن يستمر بعد عامين فقط من ارتباطهما.

في تلك الأثناء التفت بهدوء الى الشاب العاري المسترخي الى جانبه على السرير، مد كفّه اليمنى الى شعره الطاووسي وبأنامل يسراه مسّد له صدره فسُرّته ف...وهمس وهو يلصق شفتيه بأذنه «تصور يا حبيبي..ما زالت أمامنا ثلاث ساعات بالتمام والكمال...» وانقلب فوقه!

* كاتب من فلسطين

بعد ثلاث روايات ومجموعات قصصية:

المحيميد يصدر رواية «نزهة الدلفين»

لندن ـ «القدس العربي»:

عن رياض الريس للكتب والنشر صدرت مؤخراً رواية جديدة بعنوان (نزهة الدلفين) للروائي يوسف المحيميد، اتخذت من علاقة حب ملتبسة بين امرأة ورجلين أساساً لها، وجاءت القاهرة بشوارعها ونيلها وليلها فضاء مفتوحاً للأحداث، مع توظيف بعض الأماكن التي يعيش فيها الشخوص في بلدانهم: الرياض، تبوك، دبي، الدوحة.

الرواية استثمرت الدلفين بكل ما يملك من مرح وصخب وحب للآخرين وكما ورد عن الإمام القزويني في وصفه للدلفين: أنه إذا رأى غريقاً في البحر ساقه نحو الساحل، وربما دخل تحته وحمله، وربما جعل ذنبه في يده ليمشي به إلى الساحل، وقيل له جناحان طويلان فإذا رأى المركب تسير بقلوعها رفع جناحيه تشبيهاً بالمركب وينادي، وإذا رأى الغريق قصده. وقارب الروائي المحيميد بين الدلفين وقدرته على إنقاذ الغرقى وبين يد المعشوقة التي تنقذ العاشق من الوحدة والضجر والسأم.

وقد اختار الناشر مقطعاً للغلاف الأخير جاء فيه: أبي كان ثرياً، لم أره منذ سنوات بعيدة، غاب عنا ثلاثة أيام متواصلة، وفي اليوم الرابع هاتفت أمي ضرّتها، فأكدت الأخرى أنها كذلك لم تره ولا تعرف له أثراً، قالوا إن أمي حوّلته إلى طائر في قفص عندنا في صالة البيت، في المساء تعيده إلى حالته الطبيعية ثم تضاجعه طوال الليل، وفي الصباح يوقظ الطائر الأصفر الصغير البيت وهو يغرّد بلا كلل. حين كبرتُ عرفت أن أبي هاجر إلى شرق آسيا، لا أعرف إن كان يركض خلف تجارته أم خلف نسائه.

رواية (نزهة الدلفين) جاءت بعد ثلاث روايات هي: لغط موتى، فخاخ الرائحة، والقارورة، فضلاً عن عدد من المجموعات القصصية التي كان آخرها مجموعة (أخي يفتّش عن رامبو).

من فضاءات الرواية: صباح الرياض ساخن وثقيل جداً، غبار يهبط بصفاقة حتى الرجلين، فكأنما الناس والسيارات تخوض في غبار عميم، حتى البنايات العالية ذابت رؤوسها في الغبار الجاثم مثل غول هلامي الملامح، طريق الملك فهد تجاه الجنوب خفيف على غير العادة، سلكتُ مخرج قصر الحكم والصفاة والمحكمة الكبرى، عند الإشارة شحاذة عجوز تحمل طفلاً غزير الشعر ومتّسخه، بثوب صوف عتيق رغم حرارة الطقس، على رصيف متنزه سلام جلس عمّال يوميون باكستانيون وأفغان بملابسهم البنجابية وهم يحملون فُرش الدهان وأدوات لياسة الجدران والبناء. معهد إمام الدعوة بمبناه العتيق لم يتغيّر، مثلما دخلته ذات مرة مع قريبي، وهو يسحب ملف دراسته هارباً إلى متوسطة ابن زيدون، الباب المتطامن والحمام يحط على شرفاته، مبنى المحكمة الجديد ذو الحجر الأصفر يقف شامخاً، بنوافذه الطولية الضيِّقة جداً، تلك التي لا تتسع حتى لرأس يحلم أن يفيض ويصرخ، مواقف السيارات مشغولة تماماً، أوقفت سيارتي الهونداي الصغيرة، وقبل أن أنزل قلبت فاتورة الهاتف المحمول على ظهرها حتى لا يظهر اسمي لأحد يتجوّل بين السيارات ويدوّن الأسماء، كنت خائفاً وقلقاً، حلمت أن أكسر حاجز الخوف، كان الحرس يحيطون بحواف الميدان المزدان بالنخيل والشجر المقصوص بعناية، لا أحد يدخل إلا بأوراق معاملة أو قضية أو استدعاء، كان في الجهة البعيدة المقابلة للبوابة الجنوبية عدد من الرجال والنساء يجلسون على المصاطب الحجرية تحت ظل الشجر ينتظرون المحاكمة السريّة، رجل خمسيني يشرب شاياً، وشاب يرشف قهوة من دانكن دونات، لم أكن وحدي الذي يلبس نظارات شمسية داكنة، بل كثيرون يخفون أعينهم خلف السواد، والبعض الآخر يخفي وجهه وراء جريدة، صحفي بريطاني يحمل أوراقاً، ويصعد فوق حافة الحديقة ويعدّ المتجمهرين بطريقة مباشرة، صحفي ياباني يتأمل المكان بعينيه الضيقتين وينتظر السماح له بالدخول، في آخر المصاطب الحجرية جهة الشارع المفضي لشوارع طينية تجلس تسع نساء منقّبات، كن يحدّقن بالشجر العالي وينتظرن معجزة السماء، شابة محجّبة ترتدي نظارتين شمسيتين سوداوين تتنقّل بخفّة ورشاقة وتحاول كل فينة أن تجذب بيدها العباءة السوداء لتخفي بنطلون الجينز الكحلي.

غلاف الكتاب